صوت الأزهر
جامعاً وجامعة
www.alazhar.gov.eg
العدد ٦٧٦ ـ السنة الثالثة عشرة
الجمعة ٢٠ من شوال ١٤٣٣هـ ٧ من سبتمبر ٢٠١٢م
١٢ صفحة | ١ جنيه

عرفان سامى.. راهب العمارة فى محراب الأزهر

بقلم :
د.خالد محمود هيبة

الدكتور (عرفان سامي) أستاذ العمارة الأسبق بجامعة الأزهر اسم يعرفه كل مهندس ومعماري ومثقف مصري وعربي، فكتبه ومؤلفاته العلمية منذ نهاية عقد الخمسينيات من القرن العشرين كانت ولا تزال تمثل المرجع الرئيسي والأساسي لطلاب هندسة وفن العمارة في مصر والوطن العربي، فتكاد لا تخلو مكتبة في أي قسم من أقسام العمارة بكليات الهندسة أو كليات الفنون الجميلة من تلك المؤلفات القيمة؛ التي تعتبر حتى وقتنا هذا المرجع الأساسي في ذلك المجال المدون باللغة العربية، حيث قام راحلنا العظيم الدكتور/ عرفان سامي بوضعها في وقت ندرت فيه المؤلفات العربية في ذلك المجال، في حين تتوافر الآلاف والآلاف من الكتب والمراجع باللغات الأجنبية في ذات المجال، ليصبح لأستاذنا الذي أسس خلال ذات الفترة ومع بداية عقد الستينيات لقسم هندسة العمارة بجامعة الأزهر؛ الفضل في نقل علم هندسة وفن العمارة من تلك اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، ليصبح لجامعة الأزهر كذلك عن طريق علمائها الفضل في نشر ذلك العلم وتيسيره لأبناء لغة الضاد العظيمة.

وإذا كان ما سطره الدكتور/ عرفان سامي في مجال تخصصه يحاكي ما فعله الكثيرون من علمائنا من المساهمة في وضع الأسس الحديثة لكثير من العلوم المعاصرة، ومحاولة نقل مستحدثاتها من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية تيسيراً للدراسين ودعماً لانتشارها، فإن ما قام به أستاذنا الجليل لم يسبقه فيه أحد في مصر أو غيرها، فقد تنازل عن كافة حقوقه المادية للناشرين في مقابل توزيع تلك الكتب على أبنائه من طلاب جامعة الأزهر بالمجان، فكان الناشر يقوم بطباعة تلك المؤلفات وبيعها لحسابه للمهتمين والمختصين، بينما يحصل الدكتور/ عرفان سامي على نسبته من ذلك النشر والتوزيع في صورة عدد من الكتب يوازي عدد طلاب قسم العمارة بجامعة الأزهر ليقوم بتوزيعها عليهم بالمجان.

ومع تأسيسه لقسم الهندسة المعمارية بجامعة الأزهر وتوليه مهام رئاسة ذلك القسم منذ عقد الستينيات وحتى بلوغه سن التقاعد مع مطلع عقد الثمانينيات، أسس الدكتور/ عرفان سامي لمدرسة علمية متميزة في مجال هندسة العمارة أصبحت المرجع الأساسي لكافة الجامعات المصرية والعربية طيلة هذه الفترة، فيصف الدكتو عرفان سامي (العمارة) بأنها: الفن العلمي لتشييد المباني، بهدف تلبية احتياجات الإنسان الجسدية والنفسية والروحية، والتي تتوفر فيها شروط الاستخدام من متانة وجمال واقتصاد باستخدام أفضل الوسائل المعاصرة، حيث تعتمد على المنطق السليم والعلم الصحيح والفن الرفيع، كما يعرف الدكتور عرفان سامي العمارة بأنها: هي فن تكوين الحجوم والفراغات المخصصة لاحتضان الوظائف والنشاطات الإنسانية والاجتماعية بتنوعها، وهي إنطلاقاً من ذلك تعكس في سماتها وأشكالها الإنجازات التقنية والحضارية والتطلعات الجمالية والروحية والقدرات المادية للمجتمع في بيئة ما وفترة تاريخية محددة، فهي الفن العلمي لإقامة أبنية تتوفر فيها عناصر المنفعة والمتانة والجمال والاقتصاد، وتفي بحاجات الناس المادية والروحية في حدود أوسع الامكانات وبأحسن الوسائل المتوفرة في العصر الذي تكون فيه، وهي طريقة في العمل بتفكير ومنطق سليم، فالمعمارى ليس بفنان فقط أو رجل علم أو فيلسوف فقط، بل هو رجل يجمع بين ثقافه وعلم واحترام للبيئة واحترام للبعد الإنساني والوظيفي، لأن عناصر تصميم المبنى تشير إلى فكرة المشروع التي تصل إلى تلك الحلول الجمالية والوظيفية والبيئية باستخدام الأشكال والهوية المعمارية والأسس الوظيفية والتصميمية التي تعطيك في النهاية منتج ينبهر به المستخدم لأداء الوظيفة المطلوبة، وتنبهر به الطبيعة لاحترامه إياها، وتنبهر بها الثقافة والفلسفة من خلال إبراز ثقافة وفلسفة المصمم، حقاً لقد جمعت العمارة ما بين الفلسفه والعلم والفن، فما أروع أن تكون العمارة هي أم الفنون.

ولا يقل البعد الإنساني في حياة الدكتور/ عرفان سامي قدراً عن سعة علمه وتميزه وتفرده كعالم رائد في مجاله، فيتذكر أساتذة العمارة في جامعة الأزهر وغيرها مواقف ذلك العالم الجليل التي تنم عن شخصية علمية فذة في مجالها، متواضعة في علاقتها مع الآخرين، فيذكر الأستاذ الدكتور/ محمد سراج وكيل كلية الهندسة الأسبق بجامعة الأزهر كيف أن ذلك العالم الجليل قد وقف نفسه على علمه، فلم يتزوج ولم ينجب ذرية؛ معتبراً أن طلابه بجامعة الأزهر هم أبنائه الذي يجب أن يفرغ جل جهده لرعايتهم وخدمتهم، فكان يطبع كتبه ويقوم بتوزيعها عليهم بالمجان، ويستطرد مضيفاً أنه تعلم منه الانضباط والتنظيم، فكان رحمه الله يلتزم بمحاضراته فلم يتغيب عن محاضرة قط، حتى وهو يعاني من آلام مرض أو عارض ألم به، ويضيف الدكتور/سراج متذكراً كيف أنه عندما أعد رسالة التخصص- الماجستير- الخاصة به حينما كان معيداً تحت اشراف الدكتور/ عرفان وانتهى منها، قام بطباعتها بشكل مخالف للأعراف الجارية بالجامعة حينذاك، ليقوم الدكتور/ عرفان برفض الإطلاع عليها وتأخير طالبه الباحث المهندس محمد سراج لمدة عام كامل ليعلمه ضرورة الحرص على الالتزام بالقواعد الأكاديمية، وهو الأمر الذي أثر في سلوكه الجامعي والأكاديمي بعد ذلك حينما سافر الدكتور/ سراج للحصول على درجة الدكتواره من (ألمانيا)، ليكون ذلك الدرس القاسي سبيله في التفوق هناك، وليكون ذلك دافعاً له للالتزام طيلة حياته العلمية والأكاديمية وللآن.

كما يتذكر الأستاذ الدكتور/ محمد أبو المجد رئيس قسم العمارة الأسبق بهندسة الأزهر كيف أن (جامعة الأزهر) مع بدء إنشاء مبانيها في (مدينة نصر) كان العمران لم يزل بعيداً عن تلك المنطقة الناشئة، وكان خط أتوبيس وحيد يربط ما بين الجامعة و(ميدان العباسية) يستقله الطلاب، وكان الدكتور/ عرفان لا يمتلك سيارة خاصة، فكان يستقل ذلك الأتوبيس المزدحم بالطلاب رافضاً أن يجلس محل أحدهم رغم إصرارهم على ذلك حتى لا يكون ذلك مدخلاً لجميل من طالب لأستاذ لا يملك بأخلاقه السامية أن يرده له بصورة خاصة.

ومع بلوغه سن التقاعد وانتهاء فترة رئاسته للقسم الذي أسسه وأداره على مدار ما يقرب من ربع قرن يتذكر الجميع كيف أنه ترك مفاتيح مكتبه للعاملين بالقسم في ذات يوم بلوغه ذلك السن، ليسلم الراية لجيل جديد من الأساتذة صاروا على ذات الدرب في رفعة علماء الأزهر وتميزهم، ليصبح خلفه في رئاسة القسم الأستاذ الدكتور/ صلاح ذكي نائباً للاتحاد الدولي للمعماريين بعد ذلك. ويمنح الدكتور/ عرفان سامي نفسه تقاعداً طويلاً بعيداً عن صخب الشهرة والأضواء بعد أن أنهى رسالته العلمية والأكاديمية وأسس لمدرسة مصرية متفردة في مجال هندسة العمارة بجامعة الأزهر، وليقضي ما تبقى من عمره في إحدى دور رعاية المسنين، حيث كان يزوره مريديه من الطلاب والأساتذة ومنهم الأستاذ الدكتور/ فاروق الأبرق رئيس قسم العمارة الأسبق بهندسة الأزهر أطال الله بقائه، الذي لم يتغيب عن عيادة أساتذه الجليل قط طيلة تلك السنين وحتى وفاته بتلك الدار عام ٢٠٠٧م، ليضرب نموذجاً نادراً في الوفاء لأستاذه قلما يتواجد مثله الأن.

ولأستاذنا الجليل العديد من المؤلفات العلمية التي تعتبر كما أسلفنا المرجع العربي الرئيسي في مجال نظريات العمارة، نذكرمنها كتبه: عمارة القرن العشرين (خمسة أجزاء)- طباعة دار النشر للجامعات المصرية- وهي طبعات خاصة صدرت في الفترة (١٩٥٩- ١٩٦٩) (ليست للبيع)، وكتاب نظريات العمارة- (مقررالسنة الأولى لطلبة العمارة) - طبعة خاصة عام ١٩٦٧ (ليست للبيع)، وكتابه نظريات العمارة- (مقررالسنة الثانية لطلبة العمارة)- طبعة خاصة عام ١٩٦٦ (ليست للبيع)، وكتاب نظريات العمارة العضوية- طبعة خاصة عام ١٩٦٨ (ليست للبيع) طباعة مؤسسة طباعة الألوان المتحدة بالقاهرة.

رحم الله أساتذنا وعالمنا الجليل الدكتور/ عرفان سامي الذي رحل عن دنيانا بعد أن ترك للمكتبة العربية العديد من المؤلفات التي تسد فراغاً في مجال وتخصص علمي كان رحمه الله أحد رواده على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، ولعلي أناشد هنا فضيلة الأستاذ الدكتور/ رئيس جامعة الأزهر بتكريم إسم عالمنا الجليل في (يوم الوفاء) المزمع تنظيمه قريباً بالجامعة، ليظل للوفاء معنى يتجدد في سيرة ذلك الأستاذ الراهب الناسك في محراب الأزهر العلمي.